Journal Intihaa
Available online at: intihaa@ens-ouargla.dz
ISSN :2992-1546المجلد (02) العدد(01)السنة(2025): رقم صفحة البداية89 – رقم نهاية الصفحة105

مظاهر التجريب في أدب الجوائح-
رواية "زوايا داكنة" للأمجد العثماني أنموذجا.

Aspects of Experimentation in Pandemic Literature - Dark Corners by Al-Amjad Al-Othmani as a Model

د. حمزة بوزيدي
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف-ميلة - الجزائر
bouzidi.h@centre-univ-mila.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/14 تاريخ القبول: 2025/03/05 تاريخ النشر:2025/04/30

ملخص:

خَلَّفت الجائحة العالمية "كورونا" تداعيات واضحة على كل نواحي الحياة، فسعى الأدب الروائي إلى التقاط الظاهرة وإعادة صياغتها للكشف عن تأثيراتها على الإنسان نفسيا، اجتماعيا، اقتصاديا، سياسيا، ثقافيا. هذا ما استدعى طرائق جديدة من الكتابة تكون قادرة على استيعاب الظاهرة. ومن النماذج السردية الممثلة لذلك رواية "زوايا داكنة" للروائي الأمجد العثماني، الذي استخدم بعض المظاهر التجريبية مثل: التوثيق الصحفي، الميتا-سرد، التناص بأنواعه المختلفة، وغيرها من الأساليب. على هذا الأساس، تهدف المداخلة إلى الكشف عن قدرة هذه الأساليب على إعادة تمثيل ظاهرة كورونا سرديا. ولقد خلصت المداخلة إلى مجموعة من النتائج نختصرها على النحو التالي:

- تنتمي الرواية موضوع البحث إلى "الرواية التوثيقية".
- اعتماد الكاتب على تأريخ وتوثيق وباء كورونا وتداعياته على عديد المجالات الحساسة في المجتمع التونسي.

oضَمَّنَ الروائي نصوص أخرى داخل الرواية خلقت حوارية خاصة على المستوى اللغوي.
oحاول الروائي إشراك القارئ في عملية نقد الرواية ومحاورتها عبر أساليب القص الماورائي وتقنيات تدل الكاتب والراوي في التعليق على النص.

الكلمات المفتاحية: كورونا، الأدب، التجريب، التوثيق، الذهن

Abstract:

The global COVID-19 pandemic has left profound effects on all facets of life. In response, contemporary fiction has sought not only to document the phenomenon but also to reinterpret its impact on the human condition—psychologically, socially, economically, politically, and culturally. This literary engagement has necessitated new narrative strategies capable of encompassing the pandemic's complexity.

One notable example is Dark Corners by Tunisian novelist Al-Amjad Al-Othmani, who employs various experimental techniques such as journalistic documentation, meta-narration, and multiple forms of intertextuality. This study explores the novel as a form of documentary fiction, examining the efficacy of these narrative strategies in representing the pandemic's multifaceted reality.

The analysis yields several key findings:

• The novel aligns with the genre of documentary fiction, blending fact and narrative imagination.

• The author systematically documents the COVID-19 crisis and its far-reaching effects on critical sectors of Tunisian society.

• Through intertextual insertions, the novel creates a multilayered linguistic and thematic dialogue.

• The narrative invites reader participation in the critical interrogation of the text itself, using metafictional devices that blur the boundaries between author, narrator, and reader.

Keywords: COVID-19,literature, narrative, experimentation, documentary fiction, mind.

1.مقدمة

يستدعي الحديث عن العلاقة بين الإبداع الأدبي والجوائح والأوبئة بمختلف أشكالها، الإشارة إلى بعض الروايات العالمية التي أَرَّخت لهذه الظواهر الوبائية، منها على سبيل المثال لا الحصر رواية "الطاعون القرمزي" لجاك لندن، قصيدة "الكوليرا" لنازك الملائكة، "الطاعون" لألبير كامو، "الحب في زمن الكوليرا" لغارسيا ماركيز، و"إيبولا" لأمير تاج السر، وغيرها من الأعمال الأدبية الخالدة، والتي من خلالها نستحضر الظروف الصعبة التي مر بها الإنسان في مواجهته لمصيره.

ولعل الظواهر الوبائية تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، فمن وباء الطاعون، إلى وباء الكوليرا، إلى الحمى القلاعية، إلى الملاريا، إلى الأنفلونزا إلى فيروس كرونا المستجد، ولكن تأثيراتها في الغالب تكون متقاربة؛ إذ تجبر الكائن البشري على تغيير نمط الحياة والتواصل والتفاعل، بالخصوص في هذا الزمن المعاصر، زمن التكنولوجيا والتقدم. وعليه كان من الضروري أن يواكب الإبداع الأدبي هذه المستجدات المرضية ويغوص في تفاصيلها وتداعياتها المباشرة وغير المباشرة على مصير الوجود الإنساني، ويقربها للقارئ في أسلوب تخييلي جذاب ومثير، يكسب المتلقي ثقافة عبر لمسات جمالية خالصة.

في هذا السياق، تأتي رواية "زوايا داكنة" للروائي "الأمجد العثماني"، لتبحث في مرحلة ما بعد الربيع العربي، ومرحلة انتشار الفيروس العالمي "كورونا 19" الذي أجبر العالم على غلق الحدود وتجنيد كل القوى لمحاربته والقضاء عليه. وهذا الوباء من بين أخطر الجوائح فتكا بالبشرية على مدار قرون، إذ تخطى كل الحدود، وهو في تعريف منظمة الصحة العالمية، ذلك " المرض الناجم عن فيروس كورونا المُسمى فيروس كورونا- سارس- 2. وقد اكتشفت المنظمة هذا الفيروس المُستجد لأول مرة في 31 كانون الأول/ ديسمبر 2019، بعد الإبلاغ عن مجموعة من حالات الإصابة بما يُسمى الالتهاب الرئوي الفيروسي في يوهان بجمهورية الصين الشعبي" . ثم تفشى في باقي أصقاع العالم من خلال الرحلات وغيرها.

تسعى رواية "زوايا داكنة" إلى مناقشة ظاهرة كورونا، وآثارها التي ضربت الاقتصاد والسياسة والواقع الاجتماعي التونسي، وكذا جهود الدولة التونسية في محاصرة الوباء والقضاء عليه، ونقد الظواهر المتفشية في المجتمع على إثر ذلك، أو ما اصطلح عليه الروائي بالجوائح الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تنامت جراء الوباء.بالإضافة إلى الحديث عن التراث وتقاليد المجتمع التونسي وخصائصه المحلية المميزة له عن غيره من البلدان والدول والمناطق.

دون أن ينسى الروائي مسألة العلاقات الإنسانية والقيم المصاحبة لها والمنبثقة عنها، عبر إدراج قصة حب بين شخصية "مجد" "والدكتورة ن". هذه العلاقة التي ولدت أثناء ظروف الحجر الصحي على منصة التواصل الاجتماعي فيسبوك، بديلا عن التواصل اليومي المعتاد تصويره في الروايات خاصة الروايات التاريخية، لترسم لنا الرواية قصة غرامية قوامها أبعاد ثلاثة: البعد الرقمي الإلكتروني، البعد الوبائي المرضي، البعد الروحي الإنساني.

ولا يكتفي الروائي بالحديث عن مخلفات فيروس كورونا على الذات، بل يعود إلى التأريخ للوباء الذي طال الدولة التونسية خلال القرنين 18 و 19، مركزا على وباء الطاعون، وذلك نقلا عن موقع "الترا تونس"، مما جاء في هذا الشأن قول الراوي:

"كانت تونس مهددة بانتشار وباء الطاعون عام 1701من السفنالتركية القادمة إلى غار الملح وأيضا انطلاقا من طرابلس الليبية، ولكن ظلت البلدآمنة إلى غاية بدء انتشار الوباء في جزيرة جربة من ماي/آيار إلى سبتمبر/أيلول،1702 ليضرب مدنا أخرى مثل صفاقس من ماي/آيار إلى جويلية/يوليو ،1703ثماجتاح شمال البلد ومنطقة الساحل عام .1704 ودام الوباء في العاصمة تونس مدة 6 أشهر.تكمل الدكتورة: "كانت تونس بين 1702و1705آخر محطة لانتشار وباء الطاعونالذي دام 6سنوات في مدينة طرابلس الليبية، كما انتشر في مصر حيث كان يظهر بقوة كل عام خلل تلك الفترة. لا يوجد تحديد لعدد الوفيات بسبب موجة الطاعون ولكنه حصد أرواح عديد التونسيين طيلة الثلث سنوات" .

ومن الجدير بالذكر، أن الحديث عن الوباء والجوائح ليس بالتجديد والتجريب على مستوى المضامين، فلقد سبق التكهن بمثل هذه السيناريوهات المشابهة لفترة الحجر الصحي والانعزال عن العالم، فـ"معلوم أن القصص الخيالية سبق أن تخيلت مستقبلَ مماثلَ: المكوث في المنزل أكبر وقت ممكن،والعمل على أجهزة الكمبيوتر الخاصة بنا، والتواصل عبر المحاضرات المرئية، وممارسة الرياضةعلى آلة في ركن من أركان المكتب، وممارسة العادة السرية أمام مشاهد إباحية، والاستفادة من خدمةتوصيل الطعام" .وإنما التجريب المقصود يكون على مستوى الأشكال والقوالب السردية وأنظمة الكتابة التي تكون قادرة على مواكبة روح العصر وطبيعة الكارثة التي حلت به.

كل هذه المضامين السردية التي عالجتها الرواية، تتطلب طرائق جديدة وأساليب مبتكرة أو مستوحاة من مجالات وحقول معرفية أخرى، لكي يتمكن الروائي من خلق عالم روائي تخييلي مواز للعالم الحقيقي، دون أن يبتعد عن واقع الظاهرة،خاصة وأنها ظاهرة تتطلب تداخل جملة من المعارف الطبية، الاقتصادية، السياسية، التاريخية، الاجتماعية... وهو ما دفع الكاتب إلى الاستعانة بجملة من التقنيات وإقحامها في أسلوب الكتابة. دون أن يقع في مغبة التناقض بين رغبة الروايات التجريبية في خلخلة الواقع وتبيان لا واقعيته ولا منطقيته وملامح عبثيته، وبين التجريب الإبداعي الذي يحاول تقريب الواقع والإيهام بواقعيته ولو عن طريق الخيال والترميز الجمالي.

وهنا لابد من طرح مجموعة من الأسئلة حول ماهية نص الرواية: ما هي أهم مظاهر التجريب المعتمدة في النص الروائي؟ هل وفق الروائي في توظيفها؟ وهل استطاعت هذه التقنيات التعبير عن الظاهرة التي تعالجها الرواية؟

مظاهر التجريب في الرواية:

يُعرّف هذا العلم على أنّه «علم يُعنى بدراسة خصوصيات لغة القانون» وبصيغة أخرى «الدراسة اللسانية للغة القانون؛ من خلال قانون اللغة ذاته»، فهو يجمع بين الدراسة اللسانية للغة القانون وقانون اللغة. ولأنّ القانون مفرغ في نصوص تحكمها اللغة، إذ يأمر باللغة وينهى باللغة وينجز باللغة...بل قُلْ دون تردّد هو «مهنة الكلمات» ، كما يصطلح "حافظ إسماعيلي علوي" على ذلك، فهو حتما أحوج العلوم إلى الحديث عن اللغة والعلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية موضوعية، وبالتالي التعالق مع اللسانيات.

وهو في كثير من الأحوال وقاية أو علاج لحالة من حالات «الخطر اللغوي» ، فأيّ سبّ، أو شتم، أو تشهير، أو تهديد يُعدُّ خطرا لغويا، وأيّ لَبْس في عقْدٍ نتيجة سوء صياغة أو تفسير للقانون يؤدي إلى إخلال في الحكم، فقد يُدانُ بريء ويُبَرّأُ مجرمٌ، وهذا خطر لغوي. كلُّ هذا يستوجب دراسة لغة القانون والوقوف على حيثياتها، وهو من اختصاص اللسانيات القانونية، فهي مجال لساني تطبيقي بيني، يمكن أن يُسهم في حل الكثير من المشكلات المتعلقة بمجال القانون والجريمة والقضاء.

وتُعدُّ اللسانيات القانونية اتّجاها جديدا في الدرس القانوني عامة، والنص القانوني على وجه الخصوص، إذ يُعدّ القانون -في هذه الحال-: «مدونةً مفرغة في نصوص مكتوبة بلغة ما قابلة للوصف المحايث تُدرس لذاتها ومن أجل ذاتها. لهذا كانت اللغة أجود الأدوات لمقاربة منهجية القانون، ليعتمد القانونيون على الطرح السوسيري لوضع لسانيات للقانون».

يصف "سمير شريف استيتية" التعالق اللساني القانوني ويعلّله بقوله: «ربّما كانت العلوم القانونية ألْصقَ العلوم الإنسانية والاجتماعية كلّها باللسانيات. ويكفي للدلالة على ذلك أنّ القوانين كلَّها قائمة على ضبط لغة الإنسان وسلوكه، وأنّها تحاسب على عدم انضباط اللغة والسلوك، إذا تسبّبا في إحداث ضرر للآخرين، وشروح القوانين وتفسيراتها هي –في الحقيقة- أعمال لغوية، ترمي إلى ضبط فهم دلالات القوانين من أجل التقيّد بها».

إذًا يمكننا القول أنّ اللسانيات القانونية هي «الدراسة العلمية والمنهجية للغة القانونية. باعتبارها نظام من الوحدات/المواد القانونية الداخلة في علاقة فيما بينها،

القابلة للوصف بالتحليل ثم التركيب...» . ومن ثَمَّ يبحث هذا العلمُ «تطوّرَ اللغة القانونية وخصائصَها واستعمالها...يهتمّ جانب من الدراسات في هذا التخصص بالمفردات ولا سيّما المصطلحية والتركيب أو الدلالة في اللغة» . ونحن نرى أنّ الأمر يتجاوز ذلك إلى تداولية النص القانوني وحجاجيته وسيميائيته وبلاغته كذلك، وإشكاليات الترجمة في النص القانوني.

تُفيد اللسانيات القانونية من خلال البحث في مستوياتها الصرفية، والتركيبية، والمعجمية، والدلالية والتداولية في حُسْن صياغة النصوص القانونية، وكذلك تفسير تلك النصوص وتأويلها. كما تُسهم أيضا في حل القضايا المرتبطة بتحليل اللغة والخطابات القانونية.

المطلب الثاني:

المطلب الأول: علاقة اللسانيات بالقانون

لا يسعنا المقام للتوسع في توصيف مصطلح التجريب الأدبي، والتجريب الروائي تحديدا، فهو على جهة العموم، "توظيف تقنيات فنية محدثة لم يسبق استخدامها في هذا النوع الأدبي، وربما قد تكون جربت في أنواع أخرى، تتصل بطريقة تقديم العالم المتخيل، وتحديد منظوره أو تركيز بؤرته، مثل تقنية تيار الوعي أو تعدد الأصوات أو المونتاج السينمائي أو غير ذلك من التقنيات السردية المتجددة"[1]. وقد يستعمل الروائي تقنيات معينة دون أخرى انطلاقا من حاجته الفنية وضروراته السردية ونمط تجربته الفنية، ومن بين أهم مظاهر التجريب في رواية "زوايا داكنة" للروائي "الأمجد العثماني" ما يلي:

1-توظيف التناص:

أخذ التناص في الدراسات الغربية تعريفات مختلفة، ولكنها تتمحور حول فكرة تداخل النصوص واستدعاء النصوص الغائبة، فهو "مجموع النصوص التي يمكن للقارئ أن يقاربها بالنص المقروء، انطلاقا من مخزون النصوص المعتملة في ذاكرته، حيث يتحكم نمط إدراكه للنص في وظيفة النص المعرفية، فيحيل النص على مرجعياته، وعلى مجموع النصوص السابقة عليه"[2]. ولكن الملاحظ على التناص في متن الرواية موضوع الدراسة، أنه يرد بشكل مباشر لا تعقيد فيه بالنسبة للقارئ، فالروائي يذكر مباشرة أسماء من يُضَمِّن مقاطع من نصوصهم، وقد وظف الروائي ثلاثة أشكال من التناص:

أ-أقوال الكُتَّاب:

يعمد الكاتب إلى استدعاء جملة من الأقوال والنصوص بمختلف أنواعها، خاصة الأدبية منها، ولكنه يوظفها بطريقة مباشرة ، ومن الأمثلة الكثيرة: مقولة للشاعرة الشيخة سعاد محمد الصبّاح تعلق فيها عن الشعر وعن حادثة إهدائها قصيدة للشاعر نزار قباني: "القصائد بحكاياتها ورموزها... فللشعر بعد أكبر من وجهه المباشر، وله ذكرى أعمق من ذلك المنظر الذي يبدو للوهلة الأولى، وكم كتبني الشعر وقرأني ونثرني وملمني... حتى سار في دمي مثل الأكسجين، وفي ذاكرتي مثل أشعة الشمس... القصائد هن بناتي اللاتي نمت بين يدي وتبرعمت واشتدت، إذ سقيتهابدمعي وأعصابي، فكان أجملها تلك التي نثرتها شموس بين يدي أستاذي ومعلمي،زوجي وصديقي صديق الزمن الجميل عبد الله المبارك. وأذكر تماما عندما أهديتهقصيدة (لا تنتقد) ... وأنا تلميذته التي ظلت تتهجى حروف شفتيه... وتترجم لغةعينيه وإشارات يديه"[3].

كما يُضمِّن الروائي أقول أخرى مثل قول الكاتب جبران خليل جبران: "الحب في الأرض أشكال وأكثرها كالعشب فيالحقل، لا زهر ولا ثمر وهذا ما يخيفه."[4]، وتارة يقتبس من روايات الكاتبة الجزائرية "أحلام مستغانمي" مثل قولها في الحب: "الحب لا يعلن عن نفسه، لكن تشي به موسيقاه، شيء شبيهبالضربات الأولى في السمفونية الخامسة لموزارت.."[5]. وغيرها من النصوص والمقتطفات المتوزعة هنا وهناك في متن الرواية.

يتناص الروائي مع هذه النصوص بهدف توضيح بعض أفكاره في سياقات محددة، لكن أغلبها يدور في فلك أفكار الحب والصداقة، خاصة وأنها ترد في حوارات بطل الرواية مع صديقته الدكتورة عبر الدردشة في الفايسبوك، كما تدل على سعة اطلاع الروائي وعمق قراءاته المتنوعة في المواضيع التي يناقشها.

ب-اللغة الدارجة اليومية:

من الواضح أن تعدد مستويات اللغة يتيح للكاتب انتقاء ما يتناسب منها مع قالبه اللغوي في صدد تشييد عالمه الروائي، "ويتم ذلك عبر شبكة من التعالقات النصية التي تتراسل مع توظيف لغة التراث السردي أو الشعري أو اللهجات الدارجة أو أنواع الخطاب الأخرى لتحقيق درجات مختلفة من شعرية السرد"[6]. ولقد أسهب الكاتب في توظيف اللهجة

الدارجة المحلية التونسية، ومن أهم الحوارات السردية، حوار والدي مجد حول مستقبله الدراسي والعملي:

"وقتاش تكبر يا مجد وتولي طبيب، نقريك، ونوصلك للعالي ! نبيع خلخالي والهنشيرالغالي .... خلي الولد يقرأ يا دوجه هاكه باش يفك على روحو وعلى تونس الكل. ويشريهناشر موش يبيع.."[7].

من جهة أخرى يستعملها الروائي في سياق نصح الوالدة له خوفا من ضياعه منها:

"شوف ولدي حل عينيك مليح، بنات اليوم عينهم محلوله، آنا حيه وإلا حتى ميتهننصحك خوذ بنت بلدك، ناس بكري قالوا إذا ملست، ملس من طينك... بوكوجدك والعرش ملسوا من طينهم... ما تخرجش من ملتك وصيه ما تنساهاش..."[8].

لا يكتفي الروائي بتوظيف حوارات باللهجة الدارجة التونسية، بل يقتبس مقاطع من روايات أخرى استعملت فيها اللهجة التونسية، مثل الاقتباس المنقول عن رواية الطيب الجوادي: "الطيب وليدي إنت كبرت، وتبارك الله خذيت الباك، وانجم نقول ضمنتمستقبلك، وافقتها بحركة من رأسي، فواصلت : شوف من لِخْر، لقيتلك طفلة ذراع وباع، حرة الحراير، عاونتني النهارات كيمانحب ونشتهي، قلت علش ما تقدحش عليها، وتعرس بيها الصيف هذا؟"[9].

يتميز المعجم اللغوي في الرواية باستخدام جملة من الألفاظ الدارجة من عمق الثقافة التونسية، مثل: "دوش سخون"، "الزطلة"، "الزومبي"...، ومصطلحات تنتمي إلى لغة صفحات التواصل الاجتماعي مثل: "بلوكاني"، "قوقل"....، وبذلك تتناسب القوالب التعبيرية مع المضامين السردية، لتقديم الأدب المحلي بصورة واقعية بعيدة عن المثالية، ومحاولة توصيل التقاليد المحلية إلى القارئ في مختلف بلدان العالم.

ج-توظيف الأشعار:

عمد الروائي إلى توظيف مجموعة من المقاطع الشعرية المناسبة لسياق الحدث، وذلك لتوصيل عواطفه وأحاسيسه تجاه صديقته، لأن مواصفاتها أكبر من أن تحتويها اللغة السردية، وهذه المقاطع إما من تأليف بطل الرواية مثل المقطع التالي:

حمامتنا البيضاء
يا شهدة عسلية سمراء
يا أنشودة الصباح و المساء
يا كل الكياسة و اللباقة
أعشق فيك الجمال و الأناقة
و أدفع فيك لو رجع الزمان
ألف ناقة و ناقة
عفراء يا أذكى النساء
يا سر الأمان

يا وطنا من الأوطان
نهاجر إليه كلما مسنا الظلم
يا رمزا من رموز العلم
يا ألوان الغسق و الغروب
يا سماء الربيع
يا صفاء الصيف البديع
يا أيقونة الطب... حماك المولى والرب[10]

يختزل النص الشعري عدد كبير من معاني الجمال والمقومات العقلية والنفسية، كما يختزل أيضا آمال وأحلام بطل الرواية، فهذه المرأة بالنسبة إليه رمز من رموز العلم وهي بمثابة وطن يلجأ إليه. ونلمس فيه جانبا صوفيا، إذ تتجلى هذه المرأة في كل عناصر الطبيعة ومظاهر الكون وتجلياته، بل ويرى فيها أيقونة الطب والخلاص من الداء المتفشي.

وفي أحايين أخرى يوظف الكاتب مقاطع شعرية لشعراء مشهورين مثل النص المقتبس من أشعار الشاعر السوري نزار قباني، لأن البطل كان يحب قصائد نزار المغناة من طرف الفنانة نجاة، لذلك أرسلت له صديقته الدكتورة مقاطع منها:

لا تنتقد خجلي الشديد فإنني
بسيطة..
جد و أنت خبير

يا سيد الكلمات هب لي فرصَّة
حتى يذاكر درسه العصفور
خذني بكل بساطتي وطفولتي
أنا لم أزل أحبو و أنت قدير
من أين تأتي بالفصاحة كلها
و أنا يتوه على فمي التعبير؟
أنا في الهوى لا حول لي أو قوة
إن المحب بطبعه مكسور
يا هادئ الأعصاب إنك ثابت
و أنا على ذاتي أدور.. أدور
الأرض تحتي دائما محروقة
والأرض تحتك مخمل وحرير
فرق كبير بيننا يا سيدي
فأنا محافظة و أنت جسور
و أنا مقيدة.. و أنت تطير
و أنا مجهولة جدا.. و أنت شهير[11]

ولعل هذا المزيج بين الشعر والنثر، يبين بوضوح قدرة الجنس الروائي على احتواء مختلف التداخلات الأجناسية، مما يشحن النص بإيحاءات عميقة ودلالات قوية، لما يحتويه الشعر من عناصر المجاز والصور الشعرية، وبالتالي "تصبح اللغة حاملا دلاليا لمثل هذا التعدد كونها الجوهر الأصيل لدافع الخلق والتجديد، وإلا أصبح التشكيل اللغوي والتنوع الكلامي الذي دعت إليه النظرة الحديثة مجرد تنوع لفظي لا يتجاوز المعطى الجاهز لظاهر الملفوظ، وتصير بذلك ظاهرة القص استهلاكا مبتذلا يخلو من حضوره الدلالي والمعنوي الذي يبتكر المشهد، ويفجر المعنى دون أن يقوله"[12]. وهو بذلك يختصر على الراوي صفحات كثيرة من البوح دون بلوغ المعنى المراد، خصوصا وأن المقام مقام تعبير روحي.

2-السرد والتوثيق:

يعتبر التوثيق عموما، تلك العملية التي يتم فيها "حفظ الأحداث، التاريخية منها والعلمية، وكذلك نقلها من الماضي إلى الحاضر، ومن ثم إلى المستقبل، وإلى الأفراد والمجتمعات الذين يحتاجونها ويمكنهم الاستفادة منها"[13]، ولقد انتبه المشتغلون في حقل الإبداع إلى هذه التقنية، فقاموا بدمجها مع فن الرواية، لينتج لنا نوع جديد يمكن أن نصطلح عليه "الرواية التوثيقية" أو "الرواية التسجيلية" التي تقوم على توثيق الوقائع في إطار قالب سردي حكائي، سواء بنقل الأحداث فقط، أو بنقلها والإحالة إلى مرجعيتها في الهامش كنوع من التسجيل الواقعي لمصادر المعلومات.

يستعير الروائي تقنية التوثيق الصحفي لاستعراض الحقائق حول وباء كورونا، فنراه ينقل الأخبار اليومية وعدد الوفيات وأكثر المناطق تعرضا للوباء، ونوعية الأدوية واللقاحات المناسبة، والتدابير الوقائية، والقرارات السياسية من أعلى الهيئات التونسية، في شكل تقارير طبية واقتصادية وسياسية متنوعة، مستندا في هذا على جملة من المواقع الإلكترونية مثل: نقله عن موقع "mawdoo3.com" في وصف جمال تونس وبعض مواقعها الأثرية:

"يقع متحف سوسة الأثري في منطقة القصبة، ويعود تاريخ بنائه إلى القرن 11م، حيث عرض فيه فسيفساء رومانية يعود تاريخها إلى القرن 2م، و 3م، تحكي عنالحياة اليومية في مدينة سوسة، كصيد السمك على شواطئها، ومن أشهر اللوحاتالفسيفسائية: لوحة نبتون المُلونة، وفسيفساء رأس إله المحيط، كماتعرض فيالمتحف عمود معماري مغطى بالفسيفساء التي يعود تاريخها إلى العصر البيزنطي"[14].

ثم يوثق تنامي نسبة الفقر في ربوع الوطن التونسي مستعينا بموقع "independentarabia" ناقلا كلام رئيس منتدى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية في تونس"رمضان بن عمر":

"نسبة الفقر على المستوى الوطني في حدود 15في المائة، بينما تصل في الجهات الداخليةإلى أكثر من أربعين في المائة، مشيرا إلى أن هذه الأرقام ستتضخم، بسبب الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها تونس اليوم...المواطن اليوم لم يعد همه العدوى بالفيروس، بل

إن شغله الشاغل هوكيفية تحصيل قوت أبنائه، وهو ما يفسر تنامي الاحتجاجات الاجتماعية، حيث سجل أكثر من ألف احتجاج خلل شهر واحد"[15].

يتكرر المشهد التوثيقي في كل فصول الرواية، حتى يخيل للقارئ أنه بصدد مطالعة مقال في مجلة علمية، وهذا الأمر وإن كانت له بعض الإيجابيات كالإيهام بواقعية الأحداث، وتقديم كم هائل من المعلومات الطبية والسياسية، ربما لطبيعة ونوعية موضوع الرواية الذي يتطلب ذلك، إلا أنه من جهة أخرى، أثقل كاهل السرد، وخلق نوعا من التعبير الجاف في أحايين كثيرة.

3-البعد الميتا-سردي:

يعد الميتا-سرد جزءا من القص الماورائي، الذي يتخذ طابعا تجريبيا في النصوص الإبداعية ما بعد الحداثية، أين "يقوض التحديث السردي الأشكال النمطية السائدة ويضيف مظهرا تجريبيا يتجاوز به الرواية الواقعية ويفتح آفاق دلالية احتمالية باستخدام الخاصية الميتا سردية لتوليد المعنى وإتاحة مستويات متعددة من التأويل"[16].وهذا جعل الروائي يحاول توظيفه في أسلوبه الكتابي، للخروج من التقاليد الكتابة السائدة، ومحاولة الوصول إلى تطلعات المتلقي وزيادة مساهمته في إثراء النص الروائي، وخلق قارئ فعَّال لا يكتفي بالقراءة الجامدة غير المنتجة.

أوكل الروائي مهمة السردلراوخارجي، غير مشارك في الأحداث. لكنه لم يكن ذلكالراوي التقليدي الذي يرتقي منبره فيلقي الحكاية للمتلقي كما يشاء. باعتبارهالمتصرف الوحيد. بل إنه وبأسلوب الميتا سرد يصيره راويا ديمقراطيا. يحاورالمتلقي ويصارحه ببعض آرائه، وذلك في بعض العتبات الأولية، كعتبة التقديم، التي يقدم فيها منظوره الخاص،ثم إنه يشركه في وضع تفاصيل روايته، يسأله أن يختار لها عنوانا من العناوينالتالية التي يقترحها عليه:

زوايا داكنة

مولد الإلهام

حبفي زمن الكوفيد

أو الدكتورة نون

اختاروامعي العنوان"

إنه يضع الرواية على محك النقد ويدعو القارئ إلى تقويمها وقراءتها والتأكد من صلاحية إدراجها وتصنيفها في نوع "الرواية التوثيقية"، وهذا يندرج من جهة أخرى في جملة الميثاق السردي الذي يعقده الكاتب مع القارئ، منوها لوظيفة النقد، وكأن الكاتب غير واثق من صلاحية هذه التجربة التجديدية التي خاضها في كتابة هذا النوع من النصوص، لذلك يدعو القارئ للقيام بوظيفة النقد زيادة على وظيفة القراءة للاستمتاع، يقول في هذا الإطار:

"هو مجرد مخطوط كتب أيام الحظر والحجر في زمن الكورونا ولا أدري، رغمقناعتي، هل يرقى للكتابة الروائية، والرواية التوثيقية بالخصوص"[17].

إن هذا الأسلوب من الكتابة يعد محورا أساسيا للأبعاد التجريبية في القص الميتا سردي ما بعد الحداثي، الذي خلخل الكثير من الثوابت السردية التي كانت قائمة في الرواية التقليدية، وأمدها بعوالم إبداعية وتقنيات جديدة، حيث أن "الكتابة الميتا سردية توظف تقنيات تجريبية مثل: التدخل في النص والتطفل عليه بالتعليق. مخاطبة القارئ مباشرة ومن ثم يصبح المتلقي مشاركا في بناء العملية التخييلية. وظهور المؤلف كشخصية مشاركة في الحدث السردي"[18].

تظهر ملامح الميتا سرد أيضا على صعيد العلاقة بين الراوي والشخصيات ومختلف الأصوات داخل النص، تشير إلى ذلك الأستاذة "نجاة وسلاتي خوالدي" في تعليقها وتقديمها لنص الرواية، بقولها: "يمسك الكاتب بخيوط اللعبة، ولكنه لا يقمع شخصياته. وكأن حال لسانه يقول دعهم يقولون، يحللون، يحرمون، يسقطون قوانين وضعية، يفبركون قوانين يوهموننا بأنها شرعية. وعليك أنت أيها القارئ الفطن أن تغوص إلى بواطن أقوالهم تفهم وتحلل وتناقش وتستنتج. ألست يا قارئي العزيز قد غدوت وكتابي بين يديك الماسك الحقيقي بخيوط اللعبة السردية تتلقاها كما تشاء وتفهمها كما تريد"[19]. فالروائي يرغب في أن يمارس القارئ نوعا من نقد النقد وإعادة إنتاج النصوص، وهذه التقنية من التقنيات المعتمدة في السرد ما بعد الحداثي، الذي لا يكتفي بصوت الراوي فقط.

خاتمة:

في ختام هذه المداخلة العلمية التي تم فيها الإشارة إلى أهم مظاهر التجريب على مستوى أسلوب الكتابة والتعبير، مع الإحالة المقتضبة إلى المضامين السردية والظواهر، يمكن أن نصل إلى جملة من النتائج نوردها على النحو التالي:

- من الناحية الأجناسية التصنيفية يمكن اعتبار رواية "زوايا داكنة" رواية توثيقية بامتياز؛ إذ تعتمد في جزء كبير منها على تقنية التوثيق والإحالة إلى مصدر المعلومة، هذه التقنية المستوحاة من عالم الصحافة والكتابة العلمية ذات الإحالة الدقيقة، ولكن هذا التعالق بين الرواية والتوثيق ليس بصورة سطحية جافة، وإنما بطريقة فنية تقدم إضافات جمالية، وأطر واقعية تفتح سبل النقاش للكاتب والقارئ على حد السواء.
- في هذا النص الروائي أيضا بعض ملامح الأدب السياحي؛ إذ لا يكتفي الروائي بالحديث عن تأثيرات فيروس كرونا على المجتمع، بل يستغل الفرصة للتعريف بالمواقع الأثرية كالقصور والساحات وغيرها في مختلف الأماكن التي تضمنتها الرواية كالمدن التونسية وتركيا، وعليه يمكن إكساب القارئ ثقافة، كما يمكن تحفيزه على زيارة هذه البلدان.
- مثلت رواية "زوايا داكنة" للروائي "الأمجد العثماني" لظاهرة وباء كورونا 19 بطريقة سردية، ناقش الكاتب من خلالها ظروف نشأة الوباء وطرق مقاومته، وتأثيراته الوخيمة على كافة المستويات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، والنفسية، مع التأريخللجوائح التي ضربت المجتمع التونسي منذ القدم مثل: الطاعون والكوليرا.
- ناقش الروائي مسألة التواصل والعلاقات الإنسانية أثناء فترة الحجر الصحي وغلق الحدود وتشديد الخناق على الأماكن العامة ومواطن اللقاء بين البشر؛ أين ضمن قصة حب بين بطلي الرواية شخصية (مجد) وشخصية (الدكتورة ن) جمعتهما الدردشة على الفضاء الإلكتروني في منصة فيسبوك، وجملة القيم والمشاعر والأحاسيس في هذا النوع من التواصل عن بعد، كما عادت الرواية إلى الفكر التقليدي التونسي في قضية العلاقة بين الرجل والمرأة وأساليب الزواج التقليدية، وتدخل الوالدين في عملية انتقاء الزوجة.

- وظف الروائي جملة من النصوص والأقوال لكتاب آخرين لخلق جو من الحوارية داخل النص، أين ضمن نصه بأقوال لنزار قباني وأحلام مستغانمي وجبران خليل جبران، كما وظف أشعارا في الغزل والحب، وعاد كذلك إلى اللغة الدارجة ولغة التراث في تونس، محدثا فسيفساء لغوية رفعت مستوى الشعرية لأسلوب النص.
- أثقل الكاتب نصه بعديد الاقتباسات من المقالات العلمية والمواقع الإلكترونية والصحف والجرائد، وقلما يخلو الهامش من الإحالات، وقد أشار الروائي لذلك في مقدمة الرواية، حتى يعلم القارئ أن الرواية التوثيقية تستدعي استدعاء هذا الكم من المعلومات والأخبار حول الظاهرة. الشيئ الذي خلق نوعا من المباشرة والسطحية في أسلوب الكتابة، حتى يخيل للمتلقي أنه بصدد مطالعة تقرير أو مقال صحفي وليس أمام نص جمالي أدبي.
- حاول الروائي إشراك المتلقي في خلق النص عن طريق دعوته إلى اختيار العنوان الأنسب للرواية، وكذلك دعوته لتقييم النص والحكم على صلاحيته كنص ينتمي إلى الرواية التوثيقية، مسعينا في هذا الأمر ببعض تقنيات القص الماورائي أو الميتا سرد؛ أين يتدخل الكاتب أو الراوي في التعليق على النص مرة، وتوجيه القارئ تارة ، والمشاركة في الأحداث تارة أخرى. ومحاولة دفع المتلقي إلى ممارسة نقد النقد على النصوص وإعادة إنتاجها.
- تظفي هذه المظاهر التجريبية التي اعتمدها الكاتب نوعا من الشعرية السردية؛ أين ترتقي بمستوى الخطاب السردي إلى مستويات تتجاوز نمطه التقليدي في سرد الأحداث والحوارات، إلى ابتكار وتوظيف مستويات وطرائق جديدة قادرة على التعبير عن الظروف الطارئة التي ترد على الحياة والوجود الإنساني.

[1] **صلاح فضل: لذة التجريب الروائي، ط1، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، مصر، 2005، ص 05.**

[2] **محمد رضا بن طبولة: التناص في شعر أبي نواس، رسالة ماجيستر، جامعة باجي مختار – عنابة، 2002-2003، ص13.**

[3] **الرواية، ص 45..**

[4] **الرواية، ص 45.**

[5] **الرواية، ص 51.**

[6] **صلاح فضل: لذة التجريب الروائي، ط1، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، مصر، 2005، ص 05.**

[7] **الرواية، ص 21.**

[8] **الرواية، ص 27.**

[9] **الرواية، ص 55.**

[10] **الرواية، ص 30، 31.**

[11] **الرواية، ص 42، 43.**

[12] **عبد القادر فيدوح: شعرية القص، ص 78.**

[13] **عادل إبراهيم قنديلجي: التوثيق الإعلامي والأرشيف الصحفي، (د.ط)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2019، ص 22.**

[14] **الرواية، ص 34.**

[15] **الرواية، ص 37.**

[16] **لمياء باعشن: القص الماورائي، مجلة علامات في النقد، العدد75، المجلد19، جدة، السعودية، سبتمبر، 2012، ص 210.**

[17] **الرواية، ص 09.**

[18] **لمياء باعشن: القص الماورائي، ص 212.**

[19] **الرواية، ص 16.**

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- الأمجد العثماني: زوايا داكنة، مكتبة كتوباتي للنشر والتوزيع، 2024.

-صلاح فضل: لذة التجريب الروائي، ط1، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، مصر، 2005.

-سلافوي جيجيك: فيروس كورونا، فيروس الإيديولوجيا، تر: كمال بومنير، ضمن كتاب: فلسفة الجائحة، كورونا من منظور فلاسفة العصر، كوة الرقمية للنشر والتوزيع، 06 ماي 2021.

-عادل إبراهيم قنديلجي: التوثيق الإعلامي والأرشيف الصحفي، (د.ط)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2019.

المو اقع الإلكترونية:

-منظمة الصحة العالمية، https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/question-and-answers-hub/q-a-detail/coronavirus-disease-covid 19، تاريخ الإنزال: 28آذار/مارس 2023.

الرسائل الجامعية:

- محمد رضا بن طبولة: التناص في شعر أبي نواس، رسالة ماجيستر، جامعة باجي مختار – عنابة، 2002-2003.

المقالات العلمية:

- لمياء باعشن: القص الماورائي، مجلة علامات في النقد، العدد75، المجلد19، جدة، السعودية، سبتمبر، 2012.